محاضرة رقم / 15

الفلسفة السياسية الإسلامية

مقدمة :-

كان الهم الأساسي للفلسفة الإسلامية هو الهم المشترك لدى كل الديانات حينما طرأت عليها الفلسفة هو : " محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة , أو العقل والإيمان " .

وبالرغم مما جاءت به الفلسفة المسيحية من تصورات في ذلك , إلا إن الفلسفة الإسلامية حاولت إن تشق طريقاً مغايراً , يمكن التعبير عنه بأنه في جوانبه إعلاء ضمني للفلسفة على الدين , بالرغم من الإطار الصوري أو في بعض المفاهيم الدينيّة التي حاول الفلاسفة المسلمون إضفاءها على المقول الفلسفي.

وعليه يجب أن نميط اللثام عن هذه الجدلية في إطارها السّياسي, وكيف أمكن للفلاسفة المسلمين تناولها في إنتاجهم لرؤية الدولة ومقام الدين فيها. ولعل أبرز الشخصيات التي تناولت هذا الموضوع؛ وتخص منهجية العمل وجمهوره هم: الفارابي وابن سينا وابن خلدون.

1- أبو نصر الفارابي (260-339هـ):

وهو أبو نصر محمد بن محمد طرخان بن أوزلغ, المعروف بالفارابي, تركي الأصل منسوب إلى فاراب, ولاية في بلاد الترك, وقيل أنَّهُ فارسي. سمي بالمعلم الثاني لأنّه كان من خير المفسرين لكتب المنطق الأرسطيّ. تجوّل الفارابي بين بغداد وحلب بعد أن تعلم فيهما الكثير. كان مّيالاً للزهد وحياة التقشف والفكر والتأمل, وعُرف عنه النبوغ في الفلسفة والرياضيات واللسان والكيمياء والعلوم العسكريّة والموسيقى وغيرها, وأنجز, بالعربيّة؛ أكثر من ثلاثين كتاباً. وما يهمنا, في سياق موضوعنا, أنْ نسلط الضوء على منجزه في السياسة.

ويبدو أنَّهُ لا خلاف بين الدارسين لفلسفة الفارابي؛ أن كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة يشكل العمود الرئيس في فلسفته؛ شأنه شأن كتاب "الجمهورية"" لأفلاطون , إذ أودع الفارابي في كتابه, هذا, فلسفته في الوجود والإنسان والسّياسة والاجتماع والمعرفة وغير ذلك من الموضوعات الفلسفيّة. ونميل إلى أصالة الفلسفة السّياسيّة الفارابيّة؛ بالرغم من وجود بعض المتشابهات مع الفلسفة الأفلاطونيّة؛ لأنّه أدخل أفكارا مهمة في طبيعة المجتمع وفئاته؛ ولأنّه نحت مفاهيماً جديدة لمقوله السّياسي, كفكرة النبي والفيلسوف والعلاقة بينهما من جهة؛ وعلاقتهما بنظرية العقول والفيض من جهة أخرى.

ويرى الفارابي أن الصناعة التي يكون مقصودها الجميل هي التي تسمى الفلسفة؛ ولما كان الجميل صنفين: صنفٌ علمّ فقط , وآخر هو علمٌ وعمل؛ أصبحت الفلسفة تختص بتحصيل المعرفة بالموجودات التي ليست من فعل

الإنسان وتسمى النظريّة؛ وبتحصيل معرفة الأشياء التي من شأها أن يفعلها الإنسان وهي العمليّة أو المدنيّة. والقدرة على تحصيل الأشياء الجميلة لأهل المدن, وحفظها لهم تسمى بالفلسفة السّياسيّة.

- **ضرورة الاجتماع وطبيعة المجتمعات:**

يقول الفارابي: إن " الإنسان من الأنواع التي لا يمكن أن يتم لها الضروري من أمورها, ولا تنال الأفضل من أحوالها, إلا باجتماع جماعات منها كثيرة في مسكن واحد. والجماعات الإنسانيّة: منها عظمى؛ ومنها وسطى؛ ومنها صغرى.

والجماعة العظمى هي جماعة أمم كثيرة تجتمع وتتعاون. والوسطى هي الأمة.والصغرى هي التي تحوزها المدينة. وهذه الثلاثة هي الجماعات الكاملة.....

أما الجماعات في القرى , والمحال, والسكك؛ والبيوت؛ فهي الاجتماعات الناقصة ,وهذه منها ما هو أنقص جداً وهو الاجتماع المنزلي؛ وهو جزء للاجتماع في السّكة. والاجتماع في السكة هو جزء للاجتماع في المحلة؛ وهذا الاجتماع هو جزء للاجتماع المدني.

ويرى الفارابي أن هنالك تمايزاً بين الأمم نفسها (المجتمعات الكاملة الوسطى) : ف " الأمة تتميز عن الأمة بشيئين طبيعيّين: بالخلق الطبيعيّة, والشيم الطبيعيّة؛ وبشيء ثالث وضعي وله مدخل في الأشياء الطبيعيّة وهو اللسان, أعني اللغة الى بها تكون العبارة .

أمّا عن الفوارق والمفاضلات بين رتب الناس في المجتمع فيقول الفارابي: "إن الناس يتفاضلون بالطبع في المراتب بحسب تفاضل مراتب أجناس الصنائع والعلوم التي أعدوا بالطبع نحوها. ثم الذين معدون بالطبع نحو جنس ما يتفاضلون بحسب تفاضل أجزاء ذلك الجنس... فإن الذي له قدرة على الاستنباط في جنس ما, رئيس من ليس له قدرة على استنباط ما في ذلك الجنس. وهنا يكشف الفارابي عن التفاضل حي داخل الفئة الاجتماعيّة الواحدة وليس بين فئة وأخرى.